

وهذا ما يؤخذ أيضاً من عدم رصد تطوّر ما في الموقف الأوروبي الصادر عن مؤتمر وزراء خارجية الاتحاد الأوروبي الذي تزامن مع زيارة قريع لبرلين، هذا رغم أنّ أحداث رفح وأحداث العراق فرضت نفسها بقوة عليه. ويبدو أنّ الساسة الأوروبيين حريصون في الوقت الحاضر وبعد تصاعد ضغوط فضائح التعذيب على الأمريكيين، ألاّ يطرحوا جديداً في الساحة الفلسطينية، مقابل تركيزهم على ما يمكن صنعه لاستعادة دور دولي في الساحة العراقية. كما يريد الأوروبيون انتظار ما قد تسفر عنه قمة الثمانية والقمة الأطلسية بشأن ما طرح تحت عنوان «الشرق الأوسط الكبير»، ومن جهة أخرى يدرك الأوروبيون أنّه لا جدوى في الفترة المتبقية من معركة انتخابات الرئاسة الأمريكية من محاولة دفع الأمريكيين إلى موقف جديد في قضية فلسطين. ويضاف إلى ما سبق أخيراً أنّه يصعب التحرك الأوروبي دون شريك دولي، وقد ضعف الدور الروسي أيضاً، لعوامل عديدة، من بينها ازدياد حدة المواجهات مجدداً في الشيشان التي كانت على الدوام جزءاً من مساومات تحديد المواقف الدولية بين موسكو وواشنطن والدول الأوروبية. أمّا أن يكون الشريك الدولي مجموعة الدول العربية والإسلامية، كما ينبغي أن يكون في قضايا تجري أحداثها على أرض المنطقة وتمس نتائجها سائر تلك الدول، فواضح أنّ الأوروبيين قد أسقطوا هذا الاحتمال من حساباتهم، لا سيّما وهم يواجهون الحجة الأمريكية والإسرائيلية القائلة إنهم أصبحوا يطالبون بما لا تطالب به الدول العربية نفسها. ■

الأولى في برلين، حيث التقى بالمسؤولين الألمان وبمستشارة الأمن القومي الأمريكي كونداليزا رايس، وحاول قريع مع مضيفيه الألمان نشر الانطباع بوجود «مؤشرات إيجابية جديدة» بمعنى قابلية استئناف التحرك السياسي لإحياء خارطة الطريق على وجه التخصيص، ولكن لقاءات برلين وما تلاها تزامنت مع الهجمات الإسرائيلية الضارية على رفح وأهلها، فظهر للعيان أنّ الطرف الفلسطيني وأطراف الحديث معه من الأوروبيين، يتحدّثون في «وادي السلام» بينما يتحدّث شارون في «وادي الحرب» تفتيلاً وتدميراً وتشريداً، بدعم أمريكي مباشر. ولم تكن تصريحات رايس تشير إلى أيّ تبدل في الموقف الأمريكي يمكن أن يفسر ما قيل عن وجود «مؤشرات إيجابية»، وقد امتنعت عن الإدلاء بشيء حول فحوى حديثها مع رئيس الوزراء الفلسطيني، ولكن «النقد» الصادر عنها بشأن تدمير المساكن في رفح، جاء بالاعتابير الدبلوماسية المخففة للغاية، فهو حسب قولها أمرٌ «لا يخدم عملية السلام، ودون أن تتخلّى عن ذكر ما بات عبارة تقليدية في المواقف الأمريكية جميعاً، وفي غالب المواقف الأوروبية أيضاً، بصدده «حقّ إسرائيل في الدفاع عن أمنها».

### أين الشريك؟

ويظهر من اقتصار تصريحات قريع في برلين على التنديد بما يصنعه الإسرائيليون في رفح، دون إضافة جديد على صعيد المطلوب سياسياً، أنّه لم يحصل على شيء من الأمريكيين أو الأوروبيين على السواء.

